مقدمة الترجمة

[1]

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى أَشْرَفِ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ وَخَاتَمِ الأَنْبِياءِ وَالمُرْسَلِينَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى آلِهِ الطَاهِرين.

وبعد،،،

يعد محمد علي باشا أحد الشخصيات المهمة في التاريخ العثماني في العصر الحديث، ورجلًا دولة من الطراز الرفيع، في تاريخ مصر في القرن التاسع عشر الميلادي، فقد تولى ولاية مصر لمدة أربع وأربعين سنة؛ من سنة 1805م إلى 1848م، وحقق كثيرًا من الإصلاحات فيها.

دخل محمد علي باشا مصر -لأول مرة- ضمن القوات العسكرية العثمانية التي أتت للمساعدة ضد الاحتلال الفرنسي لمصر عام 1798م، واستطاع في مدة قصيرة بعقله وحنكته وموهبته أن يتولى مقاليد الحكم في مصر؛ ومن خلال مراقبته الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية في مصر، ورصد موقف الشعب والعلماء والتنافس بين القوات العسكرية، وإخفاقات الولاة العثمانيين؛ تمكن من الهيمنة على مصر، وإحكام سيطرته على مقاليد الحكم فيها.

سجل **محمد علي** خلال مدة قصيرة نجاحاتٍ كبيرةً في المجالات الإدارية والاقتصادية والصناعية في مصر، وقبل كل شيء، أَسَّس الجيش الحديث الذي شكَّل أساس هذه النجاحات كافة وحافظ عليها. وقد أسعفته ظروف العصر الذي عاش

فيه، وثراء موارد المملكة التي حكمها، وطواعية الشعب رغبًا ورهبًا؛ في حصول تلك النهضة السريعة.

وقد ساعد انشغال الدولة العثمانية بحربها مع روسيا عام 1806م -التي دامت ست سنوات- محمد علي في التصرف بأريحية في مصر، وأدركت الحكومة العثمانية أنه من الصعب القضاء على الحكومة التي أسسها محمد علي في مصر؛ لقوتها، كما أدركت -أيضًا- صعوبة إبعاده خارج مصر.

والحق، أن والي مصر محمد علي باشا قد حقق نجاحات مختلفة في ميادين كثيرة؛ فقد انتصر على الإنجليز -حملة فريزر عام 1807م- في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية عاجزةً عن إرسال أي قوة عسكرية ولو صغيرة إلى مصر، لكن محمد علي اعتمد على قوته وجيشه الذي أسسه في مصر وواجه الإنجليز بشجاعة كبيرة، وحقق انتصارًا باهرًا عليه في رشيد، فتخلصت مصر بفضل محمد علي وقوته من العدو الإنجليزي.

لم يقصر الباب العالي في إستانبول في مكافأة محمد علي -المخلص للدولة- على هذا الصنيع؛ حيث أرسل إليه إبراهيم بك -ابنه- الذي كان محبوسًا هناك، بعد تعيينه في وظيفة «دفتردار» في مصر، وترك له القسم الساحلي -الإسكندرية- التي كان يديره الأسطول العثماني حتى ذلك الوقت.

حقق محمد علي باشا نجاحًا كبيرًا في القضاء على بقايا المماليك في مذبحة القلعة عام 1811م، وقد أفاد السلطان محمود الثاني (1808-1839م) من هذه الواقعة في القضاء على اليكيجرية عام 1826م، ثم جَهَّز محمد علي باشا حملة -بأمر السلطان العثماني- ضد الوهابيين في نجد، فجرَّد عدة حملات بقيادة ابنه طوسون باشا ثم إبراهيم باشا ثم قاد حملةً بنفسه في عام 1815م، وتمكن إبراهيم باشا من هزيمة الوهابيين في الدرعية عام 1818م.

كانت شهرة محمد علي باشا قد انتشرت في العالم الإسلامي، في الوقت التي كانت فيه الدولة العثمانية غير قادرة على حماية أراضيها من العدوان الخارجي، فعندما اندلعت حركات عصيان في اليونان وعجزت الحكومة العثمانية عن قمعها طلبت من واليها على مصر قمع هذا العصيان؛ فأرسل محمد علي جيشه وأسطوله بقيادة ابنه

إبراهيم باشا إلى المورة، وتمكن من قمع العصيان فمنحه السلطان المورة مكافأةً له، ودعا له بالنصر في فرمانه المُرسَل إليه.

كان النجاح الذي حققه محمد علي باشا حتى ذلك الوقت سواء في مصر أو في مساعدة الدولة العثمانية في اليونان، والجيش والأسطول الذي أسسه وظهرت نجاحاته في قمع حركات العصيان؛ قد أغضب دول أوروبا العظمى التي أرادت اقتسام أراضي الدولة العثمانية فيما بينها دون أن يكون حقًّا لوالٍ مصري مثل محمد علي أن يشاركها في ذلك. فتمكنت الدول الثلاث (روسيا وإنجلترا وفرنسا) من تحطيم الأسطول العثماني والمصري في نوارين عام 1827م، وساعدت في استقلال اليونان عن الدولة العثمانية.

لم يقنع محمد علي باشا بجزيرة كريت التي تركتها له الحكومة العثمانية نظير خدماته السابقة، وطلب منحَهُ منطقة سوريا بدلًا من ولاية المورة، لكن الحكومة العثمانية رفضت طلبه، فقرر الاستيلاء على سوريا بالقوة مُخالفًا أوامر السلطان، وبهذا بدأت الصفحة الأولى من المسألة المصرية عام 1831م، التي سوف تستمر حتى عام 1833م بتوقيع معاهدة كوتاهية بينه وبين السلطان محمود الثاني.

[2]

موضوع الكتاب وأهميته

يتناول هذا الكتاب عصيان محمد علي باشا وهجومه على سوريا عام 1831م في ضوء المصادر والوثائق العثمانية، وإن كان العنوان يتناول المدة من 1831-1841م فإن هذا الكتاب هو القسم الأول فقط ينتهي بعام 1833م، ويبدو أن المؤلف أراد أن يستكمل القسم الثاني لكنه لم يفعل.

وهذا الكتاب يُعدُّ أول كتابٍ تركي تناول عصيان محمد علي باشا بالبحث والدراسة والتحليل، صدر بالتركية عام 1945م، وقد أفاد المؤلف فيه كثيرًا من وثائق الأرشيف العثماني في مدة كان تصنيف الوثائق في الأرشيف بدائيًّا وليس متطورًا كما هو الحال الآن، وعلى الرغم من ذلك فقد حصل المؤلف على وثائق مهمة كانت أساس هذه الدراسة، وانتقد بشدة الدراسات العربية والأجنبية التي تناولت محمد علي باشا وعصيانه دون الرجوع إلى الأرشيف العثماني، وذكر أن القصور في المعطيات أدى بالطبع إلى القصور في النتائج.

ينقسم الكتاب إلى مقدمةٍ ومدخلٍ وفصلٍ واحد من مبحثين: تناول في المقدمة التعريف بالمصادر التي أفاد منها مُنبِّهًا على القصور الذي وجده فيها، ثم المدخل تحدث فيه عن ترجمة محمد علي باشا وطموحاته في الاستيلاء على سوريا، وعرَّف بالمسألة المصرية، والوضع العام للدولة العثمانية ودول أوروبا أثناء هجوم محمد علي باشا على سوريا.

أما الفصل الأول فقد تحدث فيه عن المرحلة الأولى من المسألة المصرية أي المدة من 1831 إلى 1833م، وينقسم إلى مبحثين، المبحث الأول عن هجوم إبراهيم باشا على سوريا وحروبه في سوريا والأناضول. والمبحث الثاني عن المباحثات الدبلوماسية ونتائجها، فتناول معاهدة كوتاهية ومعاهدة خنكار إسكله سى ومعاهدة مونشنجراتز، وبهذا انتهى القسم الأول من هذا الكتاب.

تأتي أهمية هذا الكتاب من ناحيتين: الأولى: الموضوع الذي يتناوله وهو عصيان محمد علي باشا وعلاقة الوالي بالسلطان أي علاقة التابع بالمتبوع، فهو موضوع شديد الأهمية نظرًا إلى اختلاف المؤرخين كثيرًا في تفسيره؛ ففي الوقت الذي ينظر فيه مؤرخو العرب لمحمد علي بصفته مؤسسَ مصرَ الحديث وباعث نهضتها، ينظر مؤرخو الترك له على أنه والٍ متمرد عاصٍ لأوامر السلطان، مع الاعتراف بقوته ودهائه في الحفاظ على حكم ولاية مصر لأكثر من ثلاثة وأربعين عامًا. الناحية الأخرى: اعتماد المؤلف على عددٍ وافرٍ من المصادر الأجنبية والعثمانية ووثائق الأرشيف العثماني إلى جانب المصادر العربية، واستعماله النقد والتحليل في المعلومات التي يذكرها؛ فلم يكن ينقل المعلومات من المصادر كما هي؛ بل كان ينقدها، ويُبيِّن الصحيح منها والخطأ.

كشف لنا الكتاب عن معلومات مهمة غير موجودة في المصادر العربية أو غير موجودة بالمعنى التام الذي جاء في الكتاب مثل: رغبة محمد علي في منصب الصدارة، وخطأ السلطان في عدم تعيينه، وسفارة نامق باشا إلى إنجلترا لطلب المساعدة، وتقارير رجال الدولة العثمانية عن معركة قونية، وطبيعة وضع محمد علي باشا في مصر، ومراسلات إبراهيم باشا مع الأعيان في الأناضول وتعيينه رجال تابعين له، ومحاولة إعادة سلطة اليكيجرية من جديد في الأناضول مُتحدِيًا السلطان محمود الثاني.

وهكذا، كانت الحاجة ماسّة إلى ترجمة هذا الأثر النفيس من اللغة التركية إلى العربية، لإفادة القراء، وإثراء مكتبة الدراسات التاريخية العربية بهذا العمل المهم، وقبل الحديث عن عملي في الكتاب أُتَرجم لمؤلف الكتاب: الأستاذ الدكتور شناسي آلتونداغ.

[3]

التعريف بالمؤلف[1]

ولد محمد شناسي في أدرنة سنة 1322هـ/ 1906م، وبدأ تعليمه الأَوَّليّ في بغداد حيث كان والده مصطفى يعمل ضابطًا فيها، ثم استكمل تعليمه بعد ذلك في أدرنة. وأنهى القسم الأكبر من مرحلة التعليم المتوسط في ثانوية بورصة في أدرنة، وفي عام 1929م التحق بالامتحان الخاص باختيار طلاب للدراسة في أوروبا في نظارة التعليم القومي، ونجح فيه، وأُرسِل إلى ألمانيا لدراسة التاريخ. وبعد انقضاء مدة الدراسة المعروفة في تعلم لغة أجنبية تخرَّج في مايو 1936م من جامعة جوتنجن Göttingen بدرجة الدكتوراه.

عُين شناسي في 26 يونية 1936م أستاذًا مساعدًا في التاريخ في كلية «**اللغة والتاريخ والجغرافيا**» التي فُتحت بأنقرة قبل عام من عودته إلى تركيا، ودخل امتحان التأهيل برسالة موضوعها «**إدارة محمد علي باشا القوله لي في سوريا**» في 28 ديسمبر 1942م عندما وُضع تطبيق نظام جديد خاص بأعضاء هيئة التدريس بالكلية، وعُيِّن أستاذًا مساعدًا في تاريخ العصور الحديثة. وترقَّى بعد ذلك إلى الأستاذية بقرار مجلس

(1) بحثت كثيرًا على صفحات الإنترنت عن ترجمة للمؤلف لكن دون جدوى، فتواصلت مع الدكتورة التركية الفاضلة: نظيفة أونالمش NAZİFE ÜNALMIŞ فأرسلت إليَّ مشكورة الجزء الخاص بترجمة المؤلف من كتاب,Türk Tarih Kurumu Kuruluş Amacıve Çalışmaları, Amiral Fahri Çoker Türk tarih Kurumu Basımevi, Ankara 1983, s. 583- 585. فصورت هذه الصفحات من النسخة المحفوظة في مركز إيسام İsam في إستانبول تحت رقم (Türk. T 004210K 301.4). والكتاب به تراجم الذين تولوا رئاسة مجمع التاريخ التركي. (انظر صورة المؤلف في ملاحق الكتاب).

الكلية بتاريخ 15 يونية 1945م، وشمل هذا القرار أيضًا في 5 فبراير 1946م تعيينه على رئاسة التعليم القومي.

وبينما أعيد تنظيم الكليات بعد دخول قانون الجامعات رقم 4936 في سنة 1946م حيز التنفيذ، حصل شناسي آلتونداغ على الأستاذية، وظل مديرًا لـ «**كرسي التاريخ التركي العام**» المُنشَأ حديثًا حتى وفاته. وخلافًا لوظيفته في الجامعة فقد ترأس كذلك قسم التاريخ والجغرافيا في معهد غازي التعليمي في السنوات من 1944 إلى 1946م، وعمل مُدرِّسًا لسنوات في تدريس مادة «**تاريخ الثورات**» في كليتي الزراعة والطب بجامعة أنقرة، وفي مدرسة الحرب البرية.

اُختِير شناسي آلتونداغ إلى عمادة كلية «**اللغة والتاريخ والجغرافيا**» في المدة من 1952م إلى 1954م، وعمل من مارس 1954م حتى فبراير 1955م «أستاذًا باحثًا» في جامعة ستانفورد في الولايات المتحدة الأمريكية، وعمل في المدة من 1962م إلى 1969م في الأبحاث المهنية في ألمانيا والنمسا. وبالإضافة إلى ذلك فقد شارك -سواء داخل الوطن أم خارجه- ممثلًا عن «**مجمع التاريخ التركي**» في كثير من المؤتمرات والاجتماعات والسيمينارات العلمية، وقدَّم أبحاثًا فيها.

وكان متزوجًا ولديه طفلان، وفي ديسمبر 1969م أصيب بمرضٍ شديد حتى وافته المَنِيَّة في 22 فبراير 1970م. ودُفِن في ضريح «جبجي عصري» في أنقرة.

آثاره ومؤلفاته:

ترك شناسي آلتونداغ كثيرًا من المؤلفات والأبحاث العلمية والمقالات، على النحو الآتي:

أ. **الكتب والمقالات:**

1- اتفاقية المضائق 1841م، مؤتمر حزب الشعب الجمهوري، 1939م.

2- مأمورية نامق باشا الخاصة وإرساله إلى لوندرة/ لندن في سنة 1832م لطلب المساعدة أثناء عصيان محمد علي باشا القوله لي، بلّتن Belleten، عدد6، 23- 24، 1942م، ص229-251.

3- دراسة قصيرة بشأن محمد علي باشا القوله لي، مجلة اللغة والتاريخ والجغرافيا، 1، 2، 1942م، ص33-45.
4- الجغرافيا والفلسفة، DTCFD، 1، 4، 1943م، ص87-91.
5- معاهدة مونشنجراتز، DTCFD، 1، 4، 1943م، ص51-61.
6- عدة نماذج بشأن النظام والعدالة عند الأتراك، DTCFD، 2، 3، 1944م، ص385- 387.
7- عدة ملاحظات بشأن الأوضاع الثقافية والاجتماعية للأتراك في العصور العثمانية الأولى، DTCFD، 2، 4، 1944م، ص519- 526.
8- أسلوب الإدارة التي طبقها محمد علي باشا القوله لي أثناء حكمه في سوريا[1]، مجلة بلّتن Belleten، عدد 8، 30، 1944م، ص231- 66 243.
9- عصيان محمد علي باشا القوله لي: المسألة المصرية 1831- 1841م، القسم الأول، نشر مجمع التاريخ التركي، أنقرة 1945م. (موضوع هذه الترجمة).
10- دراسة مختصرة بشأن نظام الضريبة في الإمبراطورية العثمانية، DTCFD، 5، 1، 1947م، ص181-197.
11- الإدارة العثمانية والكورجيون، 4، مؤتمر التاريخ التركي، 1948م، ص317-325.
12- بشأن صلاحيات ووظائف القضاة عند العثمانيين، 6، مؤتمر التاريخ التركي، 1961م، ص342-354.
13- الخلافة وإلغاء الخلافة، الانقلاب الثقافي تحت قيادة أتاتورك، 1967م، نشر مجلس الانقلاب التركي، أنقرة 1972م، ص39- 43.

ب. **الوثائق:**

1- إرسال الجنرال الروسي مورافييف إلى الإسكندرية سفيرًا خاصًّا عن

(1) يمكن تحميل هذه البحث وغيره من المجلة من خلال هذا الرابط:
https://belleten.gov.tr/arama-sonuclari?quick=kavalal%C4%B1

القيصـر الروسـي لتبليـغ محمـد علـي باشـا الطلـب الأخيـر عـن المسـألة المصريـة، مجلـة الوثائـق التاريخيـة، 17/2، 1956م، ص194- 209.

2- وثيقـة مهمـة بشـأن تدخـل والـي مصـر محمـد علـي باشـا فـي شـؤون سـوريا قبـل الهجـوم عليهـا، مجلـة الوثائـق التاريخيـة، 16/1، 1956م.

ج. **الترجمات:**

1- الجزيـة فـي الإمبراطوريـة العثمانيـة[1]، المؤلـف: بـورس. ج. نيدكـوف، مجلـة بلّتـن Belleten، عـدد 32/8، 1944م، ص599- 652.

د. **المقالات في الموسوعة الإسلامية التركية:**

1- إبراهيم باشا (والي مصر).
2- إسماعيل باشا.
3- مدريد.
4- محمد علي باشا.
5- المرابطون.
6- مصطفى كامل باشا.
7- الموحدون.
8- السلطان عثمان الثاني.
9- السلطان عثمان الثالث.
10- رستم باشا.
11- سعيد باشا.
12- السلطان سليم الأول.
13- الطولونيون.

هـ. بخـلاف هـذه الآثـار، تـرك شناسـي آلتونـداغ كثيـرًا مـن المقـالات

(1) يمكن تحميل هذا البحث من خلال هذا الرابط:
https://belleten.gov.tr/tam-metin-pdf/761/tur

والأبحاث المنشورة في الموسوعة التركية (إينونو) خاصة، وفي المجلات المختلفة.

مما سبق يظهر بجلاءٍ أن الدكتور شناسي آلتونداغ يُعدُّ من أكثر المؤرخين الذين تناولوا تاريخ محمد علي باشا والمسألة المصرية بالبحث والدراسة، وآثاره تشهد بذلك، وقد أفاد من كتابه هذا الأستاذ الدكتور «آتيلا جتين» في كتابه: «**ولاية محمد علي باشا لمصر في ضوء الوثائق العثمانية**»[1]. وجميع المؤرخين الأتراك في الوقت الحالي عند الحديث عن محمد علي باشا أو المسألة المصرية يرجعون إلى هذا الكتاب؛ لأنه العمدة في هذه المسألة. وكانت ترجمته إلى العربية ضرورة وفرض عين على من يعرف اللغة العثمانية وكيفية التعامل مع وثائق الأرشيف العثماني، والحمد لله الذي وفقني إلى هذا العمل.

(1) ترجمتُ هذا الكتاب إلى العربية، وصدرت الطبعة الأولى منه عن عالم الأدب للترجمة والنشر عام 2021م، والطبعة الثانية عن دار إشراقة عام 2024م، ولا يوجد خلاف بين الطبعتين. والحمد لله أن نالَ الكتاب إعجابَ الباحثين والقراء.

[4]

عملي في الكتاب

في البداية أنوه إلى أنني اعتمدت نسخة على صيغة PDF من الكتاب، صادرة عن مجمع التاريخ التركي عام 1945م، من 170 صفحة[1]، وهي نسخة أصلية من الكتاب، والكتاب لم يصدر منه إلا الجزء الأول فقط وليس له جزء ثانٍ كما ذكرت قبل قليل.

ترجمت الكتاب إلى العربية ترجمة أمينة، مراعيًا فيها مناهج الترجمة الحديثة، غير مُقصِّر قط في الرجوع إلى معاجم اللغة العثمانية والتركية المختلفة، كما رجعت إلى المصادر العثمانية والعربية التي رجع إليها المؤلف وأفدت منها في توثيق النقول والتعليق على النَّص، لكني لم أرجع إلى المصادر الأجنبية سواء الفرنسية أم الإنجليزية لعدم معرفتي بهاتين اللغتين.

وضعت نص الوثائق الموجودة في الكتاب بين علامتين تنصيص (« ») بخط مائل، للتفريق بينها وبين كلام المؤلف، وإن كانت هناك ركاكة ظاهرة في ترجمة الوثائق فهذا من طبيعة أسلوبها، فتركتها كما هي حتى لا يخرج النص عن معناه الأصلي. والمشتغلون في الوثائق العثمانية يدركون مدى التعب والجهد في ترجمة نصٍّ وثائقي كُتب قبل مائتي عام أو أكثر.

كما عرَّفت في الهامش بكثيرٍ من الأعلام والأماكن وأسماء البلدان الواردة في النص، وما عرَّفتُ به في الهوامش كتبت بجواره كلمة (المترجم) للتفريق بين تعليقات

(1) انظر صورة غلاف هذه النسخة في ملاحق الكتاب.

المؤلف وتعليقاتي، ووضعت قوسين معقوفين [] بجوار بعض الكلمات إضافةً مني لإتمام سياق الكلام، وكذا قوسين لتوضيح بعض الكلمات الواردة فيه.

وذيَّلت الترجمة بخمس كشافات علمية، وهي: كشاف الوثائق العثمانية المنشورة وغير المنشورة التي وردت في الكتاب وحصلت عليها، وكشاف الأعلام، وكشاف الأماكن والبلدان، وكشاف الحروب والمعاهدات، وكشاف المصطلحات العثمانية. ثم وضعتُ ملحقًا للصور. ثم قائمة المصادر والمراجع التي أفدت منها في خدمة النص المُتَرجَم توثيقًا وتعليقًا.

وختامًا، أرجو من الله -سبحانه وتعالى- أن أكون قد وُفِّقتُ في نقل هذا الكتاب إلى العربية؛ إسهامًا مني في كتابة تاريخ مصر في العصر العثماني من جديد بالاعتماد على الوثائق والمصادر الأصلية، كما أرجوه ـ ﷻ ـ أن يبارك في عمري؛ لأتمكن من نقل أكبر قدر ممكن من أمهات الكتب والمصادر الأرشيفية المتعلقة بتاريخ مصر والبلاد العربية في العصر العثماني.

واللهَ أسألُ الإخلاص والتوفيق والسداد والقبول

د. محمد عبد العاطي محمد

مُدرِّس التاريخ والحضارة العثمانية

بكلية الآداب جامعة سوهاج

سوهاج المحروسة- جمهورية مصر العربية

الجمعة 2 ذو القعدة 1445هـ/ 10 مايو 2024م